جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الأستاذ: لخضر بولطيف

مقياس: تقنيات البحث التاريخي

مستوى: السنة الأولى ماستر تاريخ الغرب الإسلامي

المحاضرة السادسة:

مذكرة الماستر.. المواصفات العلمية والشروط القانونية (القسم: 01)

توطئة:

يمكن القول -من الناحية النظرية- إن مذكرة الماستر في النظام الجامعي الجديد (ل.م.د.) تقابل رسالة الماجستير في النظام الجامعي القديم (كلاسيك)، على أنها عمليا تختلف عنها من جوانب عديدة؛ سواء تعلق الأمر بمدة الإنجاز، أو عدد الصفحات، أو الآثار "الوظيفية" المترتبة عن كل منهما، ما تبدو معه مذكرة الماستر، وكأنها درجة وسطى بين مذكرة التخرج (ليسانس) ورسالة الماجستير، على أن ذلك لا يقلّل أبدا من قيمتها من الناحية العلمية، ما استوفت الشروط والمواصفات المنصوص عليها.

* * *

أولا- المواصفات العلمية لمذكرة الماستر:

تعد مذكرة الماستر تتويجا لمسار علمي استغرق خمس سنوات من عمر الباحث، ما سيعكس بالضرورة مستوى تكوينه، والخبرات التي يشتمل عليها، ولذلك فإن المنتظر من الجامعات الوطنية أن تهيئ جميع الظروف المواتية لإنجاز في مستوى هذا الرِّهان، وخاصة ما يتعلق بتأمين الإطار المشرِف، وفضاءات الإشراف، وبرمجة حصص متابعة أسبوعية قارّة، فإن ذلك هو السبيل الأمثل لضمان استيفاء مذكرات الماستر للمواصفات العلمية المقررة، والقطع مع الممارسات السائدة، التي تجعل من إنجاز مذكرة الماستر، مجرد تسوية لوضعية إدارية.

01- الجِدّة والطّرافة:

كثيرا ما يجري تلقين طلبة العلم في جامعاتنا، على نحو خاطئ، بأن التأدِّي إلى جديد غير مسبوق في البحث العلمي؛ وبخاصة في مذكرة الماستر، دونه خرْط القتاد، وقُصارى ما ينبغي أن يتطلع إليه الطالب في هذه المرحلة هو أن يتدرب على تقنيات البحث، وكأنما كل ما كان يصنعه طيلة خمسة مواسم جامعية منصرمة، من خلال تقديمه للعديد من البحوث الصفية، إنما كان مجرد هَدْر للوقت والجهد. وإذا كان يجري بالمقابل إيهام الطلبة بأن الجديد محلُّه بحث الدكتوراه، فإن الطالب الذي اسْتمْرأ السهل، وخبَت في نفسه جَذْوة التحدي، لن يجد ثمة ما يغريه -في أي من المراحل اللاحقة؛ سواء في رسالة الدكتوراه أو ما بعدها- على نِشْدان الجديد والطريف، بل سيكون دأْبُه التلخيص والاجتزاء من أعمال سابقيه، إن لم يكن السّطو عليها جملة، كما هو مشاهد في واقعنا. على أننا -مع ذلك- ندرك أن جديد الماستر المنشود غير جديد الدكتوراه الموعود، ولكن لا أقلّ من تمكين طلبتنا من شرف المحاولة.

02- النفْع والجدْوى:

إن الأصل في أي جهد بشري، والبحث العلمي في عداد ذلك، أن يكون ذا نفع وفائدة للمجتمع الإنساني، وعلى الرغم من نظرة الانتقاص التي ينظر بها بعض الموهومين إلى العلوم الإنسانية؛ ومن ضمنها التاريخ، من أنها علوم غير ذات جدوى، بل أنها ليست علوما بالكلية، ولكن المتبصرين من العلماء وقادة الرأي في المجتمع الإنساني، باتوا يدركون أكثر من أي وقت مضى، أهمية العلوم الإنسانية، وخطورة الدور الذي يمكن أن تضطلع به في ترشيد الاجتماع الإنساني. وعلى ذلك يتعيّن على الباحث في التاريخ أن يضع نُصْب عينيه الفائدة المرجوة من بحثه، والنفع المأمول الذي سيترتب عنه. ومن الطبيعي أنه كلما كان البحث قائما على مقاصد مُتماهية مع انشغالات المجتمع ورِهاناته، غير مُنفكة عن تحديات الواقع الراهِن، كلما كان البحث مُحقّقا للجدوى المُرادة، بخلاف البحوث التي تقطع بين الباحث وحاضِره، وتلقي به في أتُون قضايا ومسائل متجاوزَة، ولا تعني لغيره شيئا، ما يولَد معه البحث ميْتا، متلفِّعا في أكفانه.

03- الإحاطة والإلمام:

يأسف المرء إذ يُعايِن كثيرا من الأعمال المنجزة يُكرر بعضُها بعضا، دون اطّلاع من أصحابها على ما أُنجز قبلهم، ولا إلمام بما تم تسطيره في موضوع بحثهم، وهو مسْلك لا يساعد على النهوض والتقدم بالبحث العلمي على قاعدة الاستيعاب والتجاوز. وإذا كان بعض التقصير مردَّه إلى الهيئات العلمية الجامعية، في افتقارها إلى بنوك معرفية، تحوز على المنجز العلمي في مختلف الجامعات، داخل الوطن وخارجه، فإن بعض التقصير الآخر مردُّه إلى الطالب الباحث، والأستاذ المشرف شريك له في المسؤولية، إذ لا يكلّف نفسه عناء البحث في فهارس المكتبات، ومواقع الأنترنات، عما عسى أن يتقاطع مع مشروع بحثه من دراسات سابقة، إما على سبيل الاستئناس بها، والنظر في مُخرجاتها، أو تعديل موضوع بحثه، أو الرجوع عنه كليّة، فيما إذا خلَص إلى قناعة بأن موضوعه لن يطرق جديدا في ظل ما أنجز. والواقع لو أن كل طرف تحمّل مسؤوليته بهذا الإزاء، فإننا سنتجنب الكثير من إنفاق الوقت والجهد والمال في المكرورات والمجترّات.

04- الأصالة والإبداع:

إن الغرض من إلزام الطلاب بإنجاز أبحاث في ختام كل مرحلة دراسية، هو فضلا عن تكوينهم وتدريبهم، يهدف إلى تأهيلهم لتقديم إضافة إلى صرح البحث العلمي، قلّت أم كثُرت، والمنجز العلمي لا يرقى إلى كونه إضافة، ما لم ينْهَل صاحبه من ينابيع المصادر، ويستخلص رحيقَها، وإلا فإن التَّطْواف على المراجع والاستمداد المباشر منها، لا يُسعف على إنجاز بحث أصيل، ولا على ما يمكن أن يحمل سِيما الإبداع. وربما قد يعْمِد بعض الطلاب المتساهلين، وهو مما عمّت به البلوى في صفوفهم، إلى تطريز هوامش بحثه بعناوين مصادر لم يطلع عليها، ولا نظر فيها، مكتفيا بإحالة المراجع عليها، وذلك على شناعته كسلوك مُشين، فإنه لن يضفي على البحث أية قيمة علمية، فليس إيراد النصوص المصدرية وحدُه سرَّ الأصالة والإبداع، ولكن ما يُعْمِله الباحث في تلك النصوص من أنظار عقلية؛ من قبيل النقد والتحليل، والاستبطان والتعليل، والتخريج والتأصيل، وهي مهارات تُكسِب البحث ألَقا، وتضفي عليه حيوية.

05- الاتساق والانسجام:

إن الجمع بين النصوص المقتبَسة والأنظار المنقدِحة في سياق واحد، يستدعي غير قليل من الموهبة والمِراس؛ فهو ليس مجرد رصْف ألفاظ وعبارات، ولا مراكمة أسطر وفقرات، إنما ينبغي أن تكون ثمة رؤية مُؤطّرة للبحث، ونسَق ناظم له، بحيث يتراءى لقارئه كوحدة فكرية متّسقة منسجمة. ولا شيء يطبع البحث بطابع التناغم بين عناصره وأقسامه، مثل الفهم الجيد لموضوع البحث، ووضوح إشكالاته، ودقة نتائجه. وفرق بين بحث تشعرك قراءته بامتلاك صاحبه لناصية موضوعه، فكرة ومظانّا ومنهاجا، فإنك لتلمس روحَه سارية في ثنايا بحثه، مُعلنة حضوره وإمساكه بأطراف بحثه، وبين بحث آخر مُهلهل الأجزاء، مُفكّك الأوصال، يفتقر إلى الدقة والوضوح، وتنْخُره التشابكات والاستطرادات، قد أعْفى صاحبَه من أن يكون له مَوْطئ قدم فيه، فالكلمات يأخذ بعضها بخِناق بعض، والفقرات ينفُر بعضها من وجه بعض، حتى لتكاد تخرج من مطالعته سوى بذهن مُشوّش، وخلاصة مُرتبكة.

هذا، ويمكن الاستئناس في الموضوع بجملة مستندات، من بينها:

- أحمد شلَبي: كيف تكتب بحثا أو رسالة، ط6، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1968، ص23-30.

- محمد زيّان عمر: البحث العلمي.. مناهجه وتقنياته، ط5، جدة: دار الشروق، 1983، ص59-70.

- محمد عثمان الخُشْت: فن كتابة البحوث العلمية وإعداد الرسائل الجامعية، القاهرة: مكتبة ابن سينا، [1990]، ص06-12.

- عمَار بوحوش: دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، ط2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990، ص11-14.

- مهْدي فضل الله: أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، ط2، بيروت: دار الطليعة، 1998، ص36-39.

- ناصر الدين سعيدوني: أساسيات منهجية التاريخ، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2000، ص32-34.

- أيمن أبو الروس: كيف تكتب بحثا ناجحا؟ القاهرة: دار الطلائع، 2001، ص 33-37.

- عبد الله الكمالي: كتابة البحث وتحقيق المخطوطة خطوة خطوة، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 2001، ص44-48.

- عبد الواحد ذنون طه: أصول البحث التاريخي، ط1، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004، ص113-120.

- عبد الإله بنمليح ومحمد إستيتو: مناهج البحث في الإنسانيات والعلوم الاجتماعية -البحث التاريخي أنموذجا-، ط1، القاهرة: دار رؤية للنشر، 2006، ص 44-47.